

توظيف الرواية الشفوية في كتابة تاريخ الجهة
الأهمية وحلول الاستخدام

د. الحسين عماري*

مقدمة: في سياق ما تشهده بلادنا من اهتمام بالجهة من زوايا متعددة مرتبطة بالتطورات السياسية للفضية الوطنية، ويكون الجهوية أصبحت اختياراً ميسراً لأنها تمثل الركيزة الأساسية لتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية منسجمة ومتوازنة، وأداة لتجاوز كثير من المشاكل المطروحة. وبما أن التاريخ الجهوي عنصر أساسي للذاكرة أي أمة، ولأن "أمة بلا ذاكرة أمة بلا تاريخ"، أصبح البحث في تاريخ الجهة يكتسي أهمية بالغة، ويستأثر باهتمام الباحثين على مستوى الجامعة إلى درجة أن البعض اعتبر هذا التوجه بمثابة "قاطرة تنصدر عملية تحديث الذاكرة الجامعية"، لرغبته في التجديد اعتماداً على مجموعة من الآليات كموسم مفهوم التاريخ، وتطوير مجال المصادر، والانخراط في سياق العلوم الإنسانية لكتابة تاريخ شمولي يهتم بالمجتمع وديناميته، وبالافتتاح على العلوم الأخرى من أجل الاطلاع على أساليب الكتابة المعاصرة ومكتسبات العلوم الإنسانية والاجتماعية، وتجاوز المفهوم الضيق للوثيقة التاريخية الذي يرى أن التاريخ لا يكتب إلا حيث توجد الوثائق المكتوبة.

ومن نتائج هذا الانفتاح، إقبال المؤرخين على استعمال المرويات المحفوظة والمتوارثة كمصدر من المصادر التاريخية لاسيما بعد اقتناعهم أن "أي تاريخ اجتماعي لا يبحث فيه الدارس عن الأخبار من أفواه الرجال يكون بالضرورة ناقصاً من جهة ما"، وأن الفهم الجيد لتاريخ الحياة اليومية لا يمكن أن يتم دون اللجوء إلى البحث الميداني لكون الثقافة الشفهية أصبحت تغطي بمكانة رفيعة واهتمام متزايد ضمن المصادر التاريخية.

* استاذ التعليم العالي في التاريخ الحديث والمعاصر - المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين - بني ملال - المملكة المغربية.

وبالنظر إلى الأهمية التي أصبح النص الشفهي يحظى بها في هذا السياق، تأتي هذه الورقة للإجابة على التساؤلات التالية:

- ما هو مفهوم التراث الشفهي بشكل عام؟
- ما هو مفهوم التاريخ الشفوي، وأهميته، ومميزاته؟
- ما هو مفهوم الرواية الشفهية، وأهميتها، ومميزاتها؟
- ما هو المنهج الذي يعتمد التاريخ الشفهي، ومراحل البحث في مجال التراث الشفهي؟
- ما هي الإكراهات التي يطرحها توظيف النص الشفهي في كتابة تاريخ الجهة وبعض سبل تجاورها؟
- توصيات.

I- تحديد بعض المفاهيم وأهميتها ومميزاتها.

1- التراث الشفهي: التعريف والأهمية: التراث/المأثور الشفوي هو ذلك الرصيد من النصوص الشفهية التي تحتفظ بها الذاكرة الجماعية، كالحكايات والمرويات، والألغاز والأمثال، وسلاسل النسب، الذي ينتقل عبر الأجيال دون تدخل المؤرخ أو الباحث في الاجتماعيات، ويغيب فيه أحيانا اسم المؤلف، وتختص بعض الفئات في حفظه واستظهاره عند الحاجة¹. وهو يكتسي أهمية بالغة لأنه يشكل جزءاً من التراث الثقافي، وشهادة على هوية الأمة وذاكرتها وموروثها الحضاري، ولعل هذا ما يفسر الإقبال والرواج الذي أصبح يلقاه من طرف الأوساط العلمية في الآونة الأخيرة².

2- التاريخ الشفوي: التعريف والأهمية والمميزات: التاريخ الشفوي هو كتابة تاريخية تعتمد أساساً على المصادر الشفهية والفردية في الغالب، وتعطي الكلمة للشاهد أو للفاعل - الشاهد... دون أن تمنحه ثقافتها اللامشروطة، كيفما كان وزنه وحصاه³. فهو إذن "حقل تاريخي يتيح للمؤرخ توسيع مجال البحث والدراسة من خلال الاستماع إلى شهادات وروايات صانعي الأحداث والفاعلين فيها"⁴.

وتكمن أهمية هذا الحقل البحثي في كونه يساهم في استخراج تصورات وقياسات الفرد مهما كانت مكانته الاجتماعية، وخلق تقاطعات معرفية بين الثقافة العامة ونظيرتها العالمية، من خلال

الفهم التاريخي العميق لحياة الإنسان اليومية من سلوكات "قودية وجماعية إلى طقوس وتقاليد وأعراف الشبكات الاجتماعية والقبائل والمجموعات البشرية؛ فهو إذن يفتح الباب للبحث في مجموع "الأقليات والشرائع المضطهدة والمهمشة التي طمس "مورخ السلطة" أو التاريخ الرسمي دورها في المشهد اليومي للمجتمع".⁵

وبذلك، يصبح التاريخ الشفوي يركز على المهمشين والأشخاص العاديين القابعين في أسفل الهرم الاجتماعي والمغيين في التاريخ المكتوب، "تاريخاً مناضلاً" معاكساً للتاريخ التقليدي⁶، كما أنه تاريخ متجدد لأنه إلى جانب اهتمامه بالمهمشين من عمال صناعيين وحرفيين يدويين وعاطلين... أصبح يهتم بالأقليات الإثنية والدينية والسياسية، ولا سيما ضحايا الحروب وعنق الدول ومواقع اجتماعية لا يكشف عنها النص المدون.⁷

3- الرواية الشفوية: التعريف والأهمية: الرواية الشفوية هي مجموع القيم الثقافية لشعب ما،⁸ "وتلك الأخبار المتواترة عن أحداث تاريخية ماضية غير ملونة تتناقلها الأجيال عن الأجيال، وهي في ظل غياب الوثائق المكتوبة تشكل الذاكرة الجماعية لفئة اجتماعية معينة، ويندرج في هذا السياق التاريخ المروي والأساطير والحكايات والأمثال..."⁹، وأحياناً تعتبر كجزء من فلكلور شعب ما.¹⁰ وبالمفهوم الواسع يتعلق الأمر بمجموع النصوص وباقي الوثائق غير المكتوبة، ويمكن لهذه الخطابات أن تتخذ طابعاً تاريخياً أو ثقافياً أو علمياً أو دينياً أو جمالياً، ويتم تفسير الرواية الشفوية بشكل عام بأنها تصور ذهني لوضعية سياسية قائمة، أو ارتسام بالمخيلة لبنية اجتماعية لكيان سياسي معين، وهي نتاج المجتمع الذي يسيرها.¹¹

وتتجلى أهمية الرواية الشفوية كمصدر تاريخي أصيل من مصادر المعرفة التاريخية في ما تتيحه للباحث من إمكانيات تجعل منها نصاً لا يقل مكانة وقيمة عن النصوص الأخرى، يمكن إبرازها على الشكل الآتي:

- فهي المكمل الأساسي للنصوص - المدونة - والوثائق الأركيولوجية¹²، لكونها تقوم بتغطية ما يعجزها ويشوبها من نقائص، حيث ثبت أكثر من مرة أن بعض المقابلات الشخصية الشفهية تكشف عن حقائق تاريخية جديدة تنشر لأول مرة، كما بإمكانها أن تقدم وجهة نظر مغايرة¹³،

وتجمع بين الذاكرة الفردية والذاكرة الجماعية، وبين الخبرات الماضية والأوضاع الراهنة، والتمثيل الثقافي للماضي والحاضر.¹⁴

- وهي أيضاً مصدر تاريخي أساسي يمكن اعتماده في إعادة بناء ماضي الشعوب التي تنفتقر إلى رصيد مكتوب¹⁵، وتساعد المؤرخ على "إدراك الأحداث من الداخل"¹⁶، ولأنها على عكس النص المكتوب تولي اهتماماً بالغاً "لمهمشي التاريخ" من خلال اهتمامها بأفعال الفئات الدنيا والوسطى وتجارب الناس العاديين، إذ أظهرت دراسات حديثة أن التاريخ الشفوي يستطيع إلقاء الضوء على جوانب نظرية مثل الذاكرة، والأمة، والهوية، وأن قيمة الرواية الشفوية لا تتجلى فقط في الأحداث الماضية التي تعكسها بدقة، بل في العلاقة التي تعبر عنها بين الماضي والحاضر، فهي إذن ذاكرة حية وتاريخ حافل بالأحداث يوثق لفئات همشت¹⁷، كما أنها تتجاوز الكلام المحظور أو أي ممنوع آخر في المجتمع.¹⁸

II- المنهج الذي يعتمد التاريخ الشفوي ومراحل البحث في مجال التراث الشفهي.

1- المنهج الذي يعتمد التاريخ الشفهي: إذا كان المنهج هو السيرة والكيفية المتبعة من أجل الكشف عن حقيقة علمية معينة¹⁹، فإن التاريخ الشفهي هو منهج تجريبي مستخدم في مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية، كالتاريخ، وعلم الاجتماع، وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) وعلم الأجناس (الإنثولوجيا) والسياسة وعلم النفس وعلم الموسيقى أو تاريخ الفن²⁰، وهو منهج ينتمي بالأساس إلى المنهج الاستقرائي (inductif) الذي "يتأسس على التصور الإستمولوجي الوضعي الاختباري، الذي يؤمن بضرورة الانطلاق من الأحداث القابلة للملاحظة، التي هي مرحلة من أهم الوسائل لبناء المعرفة وتكوينها داخل هذا المنهج"²¹. فالأمر يتعلق هنا بمنهج بحث نوعي معروف بمفهومه للدقوت للتاريخ، عكس باقي المقاربات الأخرى مثل المفاهيم التقليدية للتاريخ السياسي والاجتماعي أو العسكري، التي غالباً ما تعد انطلاقة من مصدر غير شفهي، وبحلول التاريخ الشفهي أن يعطي الكلمة للطبقات الاجتماعية المهمشة وبدون تاريخ يمنح الأسبقية للتاريخ الصغير/الجهري، والتجارب الفردية للعاشة، والتاريخ من الأسفل، والبعث اليومي...، وبذلك فهو يعتبر بحثاً نوعياً لأنه يجمع معلومات شخصية كقيمة مستقلة للمعرفة، ولا يحاول تعميم محتواها باستخدام أساليب كمية مثل الإحصاءات.²²

ففي التاريخ الشفهي يتم الاشتغال في المقام الأول حول مقابلات كمتنوع بحث نوعي²³ الذي هو دراسة لظواهر الاجتماعية في سياقها العادي، والتركيز على الأفراد والاتصال المباشر بالمدان، وتساعد المقاربة النوعية على فهم الناس في تفاعلهم ضمن سياقات اجتماعية مختلفة، وتحديد الواقع الاجتماعي انطلاقاً من منظورهم وتجاربهم الخاصة، وليس انطلاقاً من تجارب ومنظور الباحث²⁴.

ويوظف الباحث في هذا السياق، أدوات النقد التاريخي منذ مرحلة المقابلة والاستجواب، حيث "يبدأ بتوثيق عناصر المرحلة المتصلة بالشاهد، ويواجه بين القرب والمسافة، ويستحضر احتمالات تخوير الأحداث" لأن رواية هذه الأخيرة غالباً ما تتأثر بصفوات الذاكرة وهذات الحاضر²⁵.

2- مراحل البحث في مجال التراث الشفهي: تتألف عملية البحث في مجال التراث الشفهي من ثلاث مراحل أساسية هي:

- مرحلة جمع المادة من مصادرها الشفهية باعتماد الملاحظة، المشاركة، تقنية المقابلة.
- مرحلة تصنيف ما تم جمعه فهرسته إيداعه في أرشيف.
- مرحلة الدراسة التحليل.

وسنركز في هذه الورقة بالدرجة الأولى على تقنية المقابلة من خلال التعريف بها وبأشكالها والنظر في مراحل ومنهجية إجرائها.

أ- مفهوم المقابلة: المقابلة الشخصية أو التاريخ الحي "عبارة عن حديث أو حوار مع شخص أو مجموعة أشخاص من أجل الحصول على معلومات بهدف التوصل إلى حل مشكل أو اختبار فرضية ما أو التحقق من هدف معين"، وهي "أيضاً لقاء يتم بين الأخصائي القائم بالبحث وبين الفرد مصدر البحث"²⁶.

و"تسعى المقابلة إلى مساعدة الباحث على جمع المعلومات والمعطيات من خلال التعرف على آراء الأفراد، وعلى تجاربهم وميولاتهم وطموحاتهم"، أو بتعبير آخر فهي "تسعى إلى الحصول على نتائج خطاب واضح حول الموضوع"، مما يتطلب إعداداً دقيقاً لتقنية المقابلة²⁷. وهناك أنواع وأشكال مختلفة من المقابلة نورد هنا على الشكل الآتي:

- المقابلة الفردية: وهي التي يجريها الباحث مع فرد واحد، مما يساعد على الحصول على معطيات موضوعية وصادقة لكون المبحوث يعبر عن إجاباته بكيفية تلقائية وبنوع من الحرية.

- المقابلة الجماعية: وهي إما مقابلة يقوم فيها الباحث بإجراء حوار أو مقابلة مع مجموعة من المفحوصين في نفس الوقت، حيث يوجه نفس السؤال إلى كل عضو من أعضاء الجماعة أو إلى المجموعة كلها، ويكون الرد إما فردياً بشكل منتظم أو جماعياً بشكل تلقائي غير مقيد²⁸، ويسمح

هذا النوع من المقابلة بوقوف الباحث على أوجه التقارب والاختلاف في الآراء التي يعبر عنها أفراد المجموعة بخصوص موضوع الدراسة، كما تكشف له عن مختلف التفاعلات والمواقف إزاء²⁹، أما المفحوصون فيتمكنون من مساعدة بعضهم البعض في تذكر بعض الجوانب المتعلقة بالسؤال المطروح عليهم، وفي تنقيح المعلومات والآراء التي يبدلون بها³⁰.

ولا بد للباحث من مراعاة مجموعة من الشروط مثل:

- إعداد وسائل تسجيل أجوبة الأفراد بشكل يسمح بإثبات أجوبة كل أفراد المجموعة.

- إعداد منهجية تسمح بتدخل كل أفراد المجموعة.

- الاهتمام بجميع أفراد المجموعة واحترام آرائهم وعدم التحيز لأي طرف منهم.

- ضبط عملية تسيير المقابلة.

أو مقابلة يجريها فريق من الباحثين مع فرد واحد من بين المفحوصين، وتكون عناصر هذا الفريق من نفس التخصص أو من تخصصات مختلفة ذات تكامل فيما بينها. ولكي تجري هذه

المقابلة بشكل ملائم، ينبغي مراعاة الشروط التالية:

- تكوين رؤية متكاملة بين مختلف أفراد الفريق حول الظاهرة من خلال تشاور أولي، وتحديد

مجالات الاستجواب وتوزيعها فيما بينهم.

- تحديد إستراتيجية مشتركة ومحددة لإجراء المقابلة الجماعية.

- وضع تصميم مشترك يمكن أفراد الفريق من الوصول إلى نتائج تغطي باحثاتهم وقناعاتهم³¹.

- المقابلة الموجهة (directive): وهي التي يقوم فيها الباحث بإعداد أسئلة محددة وتوجيهها بنفس الطريقة إلى كافة أفراد عينة البحث للحصول على بيانات معينة وفق نمط تم تحديده مسبقاً، وهي

تساعد كذلك على الحصول على معلومات أكثر دقة وغير قابلة للتأويل³².

- المقابلة الحرة: يهتم فيها الباحث بإعداد الأسئلة الجوهرية في الموضوع، وهي تنفيذ في جمع معطيات جديدة حول موضوع الدراسة وإغنائه بآراء وأفكار تسمح بتكوين نظرة عميقة حول الظاهرة.³³

- المقابلة نصف الموجهة (semi directive): وهي توظف مزايا المقيالتين الموجهة والحرة، وتتميز بالمرونة في الربط بين حرية المفحوص وتلقائية أجوبته، وبين التوجيه والتحديد الذي تقتضيه طبيعة الظاهرة المدروسة.³⁴

ب- مراحل ومنهجية إجراء المقابلة:

- مرحلة وضع شبكة المقابلة واختيار الشهود ووسيلة التسجيل: فيما يخص شبكة المقابلة، لا بد للباحث من تسجيل ما يرغب أو يسعى إلى معرفته تحيى أسئلة شخصية- غير واقعية- لجعل الشاهد يحكي ما عاشه.

وبالنسبة لاختيار الشهود، من المهم تحديد سن أدنى للشخصيات المستجوبة، والفئة العمرية من خلال الحديث حول الموضوع مع شخصيات المحيط، ومعايير أخرى مضبوطة مثل مكان الإقامة خلال العصر المدروس، ووسيلة التسجيل.³⁵

وإذا كانت المقابلة ستمه عددا من الشهود، لا بد من الحرص على أن يشمل الاستجواب عدة مجموعات سكانية: من طلاب، وأساتذة، وصحفيين، وعمال، ونساء ورجال، والتيارات السياسية المختلفة، ومختلف الأوساط الموسيوية- ثقافية...

لا بد كذلك من الاتصال المباشر بالتحضير الفعال، وتسجيل الأهداف، والتوفر دائما على قلم رصاص ودفتر، وتقديم الباحث لنفسه، وتخصيص الدعوة بتحديد المؤسسة التي ينتمي إليها، والموضوع الذي يشغل حوله.

كما ينبغي عليه ذكر سبب الدعوة بوضوح وهو إجراء مقابلة، والإعلان بأن هذه الأخيرة ستسجل أو تصور، مع الاستماع بتركيز، وتكوين جميع المعلومات الجديلة، وتفاذي مقاطعة المستجوب.

لا بد كذلك من تفادي التعرض للتشيط بسبب ملاحظات أو تصريحات خطائية مثل: "ليس لدي ما أقوله" أو "يجب استجواب شخص آخر".

وبخصوص مكان الموعد، من الأفضل أن يكون في مقر إقامة الشاهد لأنه آمن وحافل بالذكريات وأشياء أخرى.

أما وقت الموعد، فمن الأفضل أن يكون في الصباح حيث يكون الجميع في أحسن حال، و إلا في نهاية اليوم، وينبغي تجنب فترة ما بعد الظهر ما بين الثانية عشرة والثانية زوالا.

ومن الأفضل أن يقترح على المستجوب إخراج بعض الصور أو ذكريات تتعلق بفترة ما قبل المقابلة لتسهيل عمل ذاكرته ودعمه خلال المقابلة.³⁶

- مرحلة إعداد/تهيئة المقابلة: لا بد من تجريب أجهزة التسجيل التي سيتم استخدامها في المقابلة، والإلمام بالموضوع بشكل جيد، والتوفر على تصور ورؤية واضحة حول ما نسعى إلى التوصل إليه أي اختيار المسار الذي سيتم إتباعه، وهذا لا يعني أنه ينبغي إعداد أسئلة محددة، بل ينبغي استبعاد أية خطاطة للأسئلة والأسئلة المكتوبة.

ينبغي كذلك، تحديد الفصول الموضوعاتية التي ستسمح بتنظيم مجريات المقابلة، وتوزيع مختلف الوثائق المصاحبة لأي تسجيل، مثل دليل المقابلة المنجزة، وبطاقة ل نموذج سيرة ذاتية يتم ملؤها مع الشاهد، وخطاب-اتفاق يضمن الشروط والقواعد الأخلاقية للمشروع، وبروتوكول المقابلة الذي يسمح بوصف ظروفها، وتقديم معلومات إضافية حولها.³⁷

- مرحلة إنجاز المقابلة:

- شروط المقابلة: كي تمر المقابلة في ظروف ملائمة هناك مجموعة من الشروط التي ينبغي احترامها ومن بينها:

- اختيار مكان هادئ لإجراء المقابلة، وعادة هو منزل الشاهد الذي هو مكان آمن وحافل بالذكريات والصور...، ويمكن أن يقترح على المخاطب إعداد بعض الصور أو التذكارات الأخرى

التي تساعد على اشتغال الذاكرة، وتشكل وسيلة أثناء المقابلة.

- ولتحقيق مقابلة جيدة، ينبغي التركيز بما فيه الكفاية والتحكم في الجوانب الفنية أو التقنية، لأن من شأن ذلك أن يساعد على التركيز على المخاطب فقط.³⁸

- ومن أجل الحفاظ على الاتصال المرئي، من الأفضل عدم تدوين نقط وملاحظات وتفاذي الحاجة إلى البحث والتنقيب ضمن الأوراق، ومحاور جيد هو الذي يعرف كيف يصمت، ولا يبحث

على الأجوبة، ولا يصدر أحكاما ويعبر عن تعاطفه، ويظهر أنه مهتم، وي طرح سؤالاً وأسئلة شخصية في آن واحد بدل الأسئلة الواقعية، ويتعلق الأمر بجعل الشاهد يحكي ما عاشه وليس ما يعرفه عن التاريخ. ولماذا؟ هي سؤال جيد رغم اعتقاد الباحث أنه يعرف الجواب، فالتواضع والتظاهر بجهل الموضوع وعدم الإلمام به، وحب الاستطلاع، والمطالبة بالتوضيح، كل ذلك يسمح بالحصول على روايات ذات جودة عالية، ويطلب من الشهود سرد ذكرياتهم بحرية، ودور المحاور هو توجيهه بالمقابلة بأسئلة حية وعميقة³⁹، فالأسئلة الجيدة هي:

- العامة التي تخلق الثقة لدى المستجوب.

- الدقيقة التي تنصب حول تعريف المعلومة.

- الشخصية التي تهدف إلى الحصول على المعيش.

- الأصلية التي تحتوي على عنصر المفاجأة/أي أنها مفاجئة.

- الواضحة التي تهدف إلى الحصول على حقائق.

- والاستفزازية أي التي تتوخى خلق ردود فعل لدى المستجوب.⁴⁰

وينبغي أيضا تجنب الأسئلة المغلقة، والقيام بمقابلة شبه مباشرة، وهذا يعني أنه لا بد من تحديد عناوين الفصول، والاسترشاد بالحوار أي أن تكون الأسئلة نابعة من النقاش. وبعد بضعة دقائق من المقابلة سيختفي تشنج الأعصاب عموماً، وستحدد الثواني الأولى من المقابلة بنجاح اللقاء.

التحكم في الارتباك/الخوف، اللعب بنبذة الصوت، اختيار الإطار الأنسب، القول نعم للمخاطب عدة مرات لإدماجه ضمن دينامية المشروع.

الإنصات، السكوت وعدم الانفعال جسدياً، والتأثر بردود فعل أو إجابات، والتعبير عن التعاطف وطرح أسئلة موجهة للمشاعر وردود الفعل بدل الأسئلة الواقعية⁴¹.

معرفة كيفية إبداء ملاحظات.

التواصل غير اللفظي، كحركة التراجع إلى الوراء، والابتسامة، وحركة اليد (الحماس، الإحباط)، النقاط إشارات الجسد (الوجه، الصوت، والإيماءات أو الحركات)⁴².

الشروع في البداية بطرح أسئلة بسيطة حول سيرة الشخص، ومشاركه الدراسي والمهني حتى الأحداث التي تم الباحث على وجه التحديد.

محاولة طرح أسئلة شخصية تجعل المستجوب يتحدث عن نفسه، وتجاربه الشخصية، وما عاشه وليس ما يعرفه.⁴³

وتتم الاستعانة بقائمة معالم زمنية وموضوعاتية، ولابد من التذكير ببعض العناصر الهامة ويساعد العمل الكرونولوجي الشاهد والمحاور على تنظيم الذكريات وإعادة بناء الرواية.

ويسمح التثبيت/الإرساء الموضوعي بالحرص على عدم الابتعاد عن أهداف البحث وإعادة تأطير المقابلة عندما تصبح أكثر حكاية، ووظيفة تدخلات المحاور هي جعل الشاهد يتوصل إلى قصة تجربته الشخصية عندما يذكر. بتفصيل أحداثاً تاريخية ويترك مجالاً أكبر قدر الممكن للذاكرة الشخصية، ويتعلق الأمر بالحصول على خطاب⁴⁴.

كما ينبغي أن تتوفر في الباحث مجموعة من الموصفات:

- تلاؤم وانسجام هندام مع هندام المفحوصين مراعاة للتواصل.

- أن يحرص على أن تكون لغته ملائمة بفهمها للمستجوبين وتحقق التواصل بينه وبينهم.

- أن تكون شخصيته جذابة ويحتاج لها الآخرون لتوفير المناخ الملائم لعملية الاستجواب.

- أن يتميز بالبداية أي درجة استيعابه لدلالة الألفاظ والتعابير، لذلك ينبغي أن تكون له قدرة

على الإدراك والاستيعاب حتى يتمكن من مسايرة الإيقاعات الخاصة للمستجوبين⁴⁵.

- مرحلة تحليل أو استغلال المعطيات التي تم تجميعها: إن الهدف من تقنية تحليل المضمون

هو البحث خلف سطور الخطاب الشفوي⁴⁶، وتنظيم المعلومات ذات الصلة بالموضوع موضوعاتياً

بارتباط مع المعارف التاريخية التي حصل عليها الباحث حول الموضوع المدروس ويشمل تحليل

الوثائق الشفهية في آن واحد إعادة بناء الماضي وتحليل وتفسير الرواية نفسها، فالتاريخ الشفهي

يشمل في آن واحد تاريخ الأحداث وتاريخ ذاكرة الأحداث ومراجعة الأحداث من منظور الذاكرة،

مما يؤثر بعض التساؤلات من قبيل:

من هم الشهود؟ ومن أين يتحدثون؟ وحول ماذا يتحدثون؟ وما هي الأمور التي لا يتحدثون عنها؟

وما هي المعلومات التي يوفرها لنا الشهود؟ وما هي إسهاماتهم في التاريخ؟ وفي معرفة الفترة

الزمنية؟⁴⁷

III- الإكراهات التي تواجه مؤرخ الجهة في تعامله مع الرواية الشفوية، وسبل تجاوزها وبعض التوصيات.

1- الإكراهات التي يطرحها استغلال الرواية الشفوية على المستويين المنهجي والموضوعي وسبل تجاوزها: رغم الأهمية التي تكسيها المصادر الشفهية بشكل عام والرواية الشفوية بشكل خاص في كتابة تاريخ الشعوب، فقد أصبحت علمية التاريخ المكتوب اعتمادا على هذا النوع من المصادر محل تساؤل وخلاف بسبب الكثير من المزالق التي يتضمنها⁴⁸، مما يطرح إشكاليات منهجية وموضوعية نذكر بعضها على النحو التالي:

-إشكالية الذاتية والموضوعية أو تداخل الأسطورة مع الحقيقة التاريخية، وفي هذا الإطار يرى عبد الله العروي أن "كل المرويات الشفوية ليست من قبيل التاريخ"⁴⁹، لأن الواقعة التاريخية تستقي من الراوي الذي هو "إنسان و كائن بشري تحركه دوافع وعواطف تجعله يميل أحيانا إلى تلك الجهة أو ذلك الشخص، مما يؤثر على مصداقية وموضوعية ما يرويه، لذلك فإن هدف منهج النقد التاريخي للرواية الشفوية وغيرها من المصادر التاريخية" هو أن يكون عمل المؤرخ بمثابة دور ضابط التحقيق الماهر من حيث الانتباه لكل ثغرة قد يجدها أثناء رواية الراوي لروايته لينفذ من خلالها إلى أدق تفاصيل الحادثة التاريخية". كما أن الراوي ينبغي أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط والمواصفات نذكر منها، ضرورة معاصرته ومعايشته للحدث، لا سمح عنه من فلان وفلان⁵⁰.

ويضيف جرمان عياش "أن الرواية الشفوية تهم المؤرخ لا لكي يثبت الحوادث كما وقعت، وإنما للتعرف على الصورة التي كانت في أذهان الناس إزاء هذه الحوادث"⁵¹، مما جعل العديد من المؤرخين - قبل اقتناعهم بإمكانية الاعتماد عليها كمصدر من المصادر التاريخية- يبدون تشككهم في قيمتها المصدرية ومدى مصداقيتها ويشترطون تعزيزها بمصدر آخر⁵²، إذ غالبا ما تتأثر رواية الأحداث بحفوات الذاكرة ورهانات الحاضر⁵³.

إشكالية منهجية إجراء المقابلة في علاقتها بالذاكرة، إذ لا بد من طرح تساؤلات حول كفاءة ذاكرة الذين يملكون بشهاداتهم للتاريخ، عما إذا كانت المقابلة مصدرا شفهيًا، أم أنها في حد ذاتها تاريخ تفسيري أو تأويلي، وفي هذا السياق، ينبغي للمؤرخ المعتمد على التاريخ الشفهي الانتباه إلى الدلالات اللغوية خلال المقابلة، والدلالات الأدائية، والعلاقة بين وعي الفرد والوعي الاجتماعي

للمؤرخ⁵⁴، وهنا لا يمكن إغفال تأثير الثقافة والإيديولوجيا العامة السائدة في تشكيل وعي ذاكرة الفرد- المتحدث أو المتلقي- كما لها تأثير على تضارب وخصوصية بنية من يقدم شهادته للتاريخ

بل ومن يتلقاها أيضا ومن هنا يطرح للنقاش مدى قيمة التاريخ الشفهي ومصداقيته⁵⁵.

- مشكل الرواية الشفوية الأساسي، هو جمعها أولا ثم استغلالها باستعمال اللسنيات وإخضاعها لنقد تاريخي بناء⁵⁶، لاختبار الروايات التي من شأنها أن تشكل مصدرا للتاريخ.

- افتقار الرواية الشفوية لمفهوم القياس الزمني وبالضبط الكرونولوجيا، الذي يشكل في الواقع نقطة ضعف كبيرة في التاريخ الشفوي، لاسيما وأن الراوي يفقد في غالب الأحيان الحس الزمني اللازم الذي من شأنه أن يمنح لكلامه معنى زمنيا⁵⁸.

- تكمن نقط الضعف في الشهادة المروية، في ظلية الرواية، إذ من الصعب أن ترضي الشاهد- الراوي وترضي التاريخ في الوقت نفسه⁵⁹.

وأمام الإكراهات التي تواجه المؤرخ في تعامله مع الرواية الشفوية، ينبغي عليه اتخاذ الحيط والحذر اللازمين والتسلح بالموضوعية التي لا يتبناها ويعمل بها إلا باحث أوتي حسا تاريخيا نقديا، من خلال إخضاعها لفحص دقيق، ومقارنتها وتعزيزها بمصادر أخرى المكتوبة والأثرية/المادية، والتسلح بالأدوات المنهجية النقدية للأنتروبولوجيا، والسوسولوجيا، وتوظيفها من أجل قراءة النص الشفوي قراءة تاريخية موضوعية⁶⁰.

2- توصيات: ينبغي الوعي بالقيمة التاريخية للرواية الشفوية وللتاريخ الشفهي، والانتفات إلى تراثنا الشفهي من مظانه، وإعداد مشاريع بحثية مبنية على أسس منهجية سليمة وواضحة المعالم لجمع المواد الشفهية وتدوينها، لأن رصد وتدوين ونشر الروايات الشفوية من شأنه تصحيح كثير من نقاط الاختلاف أو الغموض في بعض جوانب التاريخ المدون، ولأن الاهتمام بالتراث الشفوي والمحافظة عليه أمر مهم لإبراز الخصوصية الثقافية التي تعد من القضايا الأساسية في حياة الشعوب وعنفوا من محفزات التنمية الوطنية، لاسيما وأن العصر الحالي بكل ما استجد فيه من تكنولوجيا المعلومات، وظهور أجهزة التسجيل الصوتي وتصوير الفيديو وصولا إلى البريد الإلكتروني والإنترنت يشكل عاملا مساعدا على الاهتمام بهذا النوع من الوثائق.

- ضرورة وجود مدرسة تبحث إمكانية اعتماد الرواية الشفوية في التاريخ والتعامل مع مجال دراسة التاريخ الشفهي على أنه منهج له أدواته وإجراءاته.

- ينبغي أن يتجاوز الاهتمام بالتاريخ الشفهي الدوائر الأكاديمية، ويصبح له مكانه الخاص في المجتمع والكيانات المتخصصة، ويتحول بذلك إلى أداة تعدد البحث التاريخي إلى تشكيله كترتاريخي.

- لا بد من إعداد مركز للتاريخ الشفهي بالجبهة تابع للدار الوثائق بالرباط، وإشراك الأرشيفيين في أعمال إنتاج التاريخ الشفهي، لأنه إذا كان الهدف من الأرشيف هو التوثيق، فإن التركيز على استخدامات التاريخ الشفهي أرشيفياً أمر ضروري.

خلاصة: من خلال ما سبق، يتضح أن هذه الورقة اهتمت أساساً بإبراز السياق العام الذي ظهر فيه الاهتمام المتزايد بالنص الشفهي ضمن المصادر التاريخية، وفي إطار الجواب على إشكالية الموضوع، تم تحديد بعض المفاهيم الأساسية، وإبراز أهميتها وميزاتها.

وانصب اهتمام الملاحظة كذلك، على تسليط الضوء على المنهج الذي يعتمد التاريخ الشفوي ومراحل البحث في مجال التراث الشفهي، مع التركيز على تقنية المقابلة من خلال التعريف بها وبأشكالها ومراحل ومنهجية إجرائها.

وخلص هذا العمل، إلى الكشف عن الإكراهات التي يطرحها استغلال الرواية الشفوية منهجياً وموضوعياً، وسبل تجاوزها مع تقديم بعض التوصيات.

الهوامش:

*ملاحظة تمت للمشاركة بما ضمن القائمة المستديرة التي نظمها فريق البحث: التدوين في حجة تالفة أريال: الأولياء والأضرحة والأماكن المقدسة بوجاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة السلطان مولاي سليمان بيني ملال بتاريخ 2016/03/15 حول: مسألة المنهج في دراسة تاريخ وزات حجة بني ملال - خبيفة.

1. عبد الأحد السبتي، التاريخ والثقافة الشفوية، 6 يناير 2014، في محاضرات. الموقع الإلكتروني: Ribat alkoutoub.com

2. سعيد الشارفي، التوثيق الشفوي وأهميته في إعادة كتابة تاريخ مدينة جانت، 21 دجنبر 2014.

الموقع الإلكتروني: <https://www.facebook.com>

ومفاتيح التراث التاريخي الشفوي وأهميته في توثيق أحداث الثورة التحريرية 1954-1962. الموقع الإلكتروني: diae.net

3. عبد الأحد السبتي، م.س. 4. حسام وهاب، التاريخ الشفوي: تاريخ من لا تاريخ له، 23 ماي 2014، قسم الدراسات الدينية.

الموقع الإلكتروني: www.mouminoun.com

5. نفسه، وفتح لسير، تاريخ الزمن الأزلي: عندما يترك التاريخ باب الحاضر، ط1، دار محمد علي للنشر، صفح، 2012، ص. 125.

6. حسام وهاب، م.س. 7. نفسه.

8. Camara, Seydou : la Tradition orale en question.

Cahiers d'études africaines, 1966 Volume n°144, pp.763-790.

9. أحمد لشكري، "الإسلام والخضج السوداني، إمبراطورية مالي 1230-1430".

رد.د.ع. تحت إشراف محمد حجي، ك.أ.ع.إ. الرباط، 1990-1991، ص. 40.

Konaté, Doulaye : «Oralité et Ecriture dans la communication usuelle au Mali : entre traditions et modernité».

Recherches africaines, Annales de la faculté des Lettres, Langues, Arts, et Sciences Humaines de Bamako. Numéro 00 Histoire-Archéologie, p.4.

10. الرواية الشفوية.

الموقع الإلكتروني: <https://fr.wikipedia.org>

11. Camara, Seydou : la Tradition orale en question, op.cit., p.764.

12. Zakari, Dramani, Issifou : L'Afrique noire dans les relations internationales au XVIIe.

Analyse de la crise entre le Maroc et le Sonhaï, éditions Karthala, Paris, 1981, p.23.

13. فليب جوتار، "التاريخ الشفهي"، ترجمة محمد حيدة، الإتحاد الاشتراكي، عدد 4787، ص. 12. وعبد الله بن إبراهيم العسكري: تدوين

التاريخ الشفوي، مجلة الدرعية، العددان 39-40، 2009/09/01، شبكة الألوكة. الموقع الإلكتروني: majles.alukah.net

14. أمين عامر، التاريخ الشفهي: تاريخ بقله التاريخ، Cybrarians journal، عدد 5 يونيو 2005، ص. 10. الموقع الإلكتروني:

<http://www.cybrarians.info>

15. Zakari, Dramani, Issifou : Op.cit., pp.23-25.

16. Drabo, Paul : «Amadou Hampâté Bâ, Messenger de la tolérance à travers vie et enseignement de Tierno Bokar» le sage de Bandiagara, Recherches Africaines, Annales de la Faculté des Lettres, Langues, Arts et Sciences Humaines de Bamako, n°00 Littérature, 2002, p.3.

17. فليب جوتار، "التاريخ الشفهي"، ص. 12.---18. عبد الرحيم حسني، المصادر الشفوية أو الذاكرة رواية كتاب تاريخ العرب

الحاضر. ضمن المؤتمر الأول حول: التاريخ الشفوي، للعلوم والمنهج وحقول البحث في المجال العربي. الموقع الإلكتروني:

www.dohainstitute.org

19. عبد الكريم غريب، منهج و تقنيات البحث العلمي مقارنة إستراتيجية. مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 1997، ص. 28.

20. Mgr David, Weber : «la Mémoire d'une nation» racontée ou qu'est ce que la méthode de l'histoire orale ? Site électronique : www.pametmaroda.cz

21. عبد الكريم غريب، م.س. 28.

22. Mgr David, Weber : «la Mémoire d'une nation» racontée..., Op.cit.--- 23. Ibid.

24. Melchisedek, Chetima : Sources orales et contribution à l'histoire des peuples montagnards du Cameroun (Monts Mondara). Une expérience personnelle de terrain, p.13. Site électronique : artessites.wottarwa.ca

25. عبد الأحد السبتي، م.س. 26. عبد الكريم غريب، م.س. 100.--- 27. نفسه.

28. عبد الكريم غريب، م.س. 102-103.--- 29. نفسه، ص. 103.

30. نفسه. 31.--- 104.--- 32. عبد الكريم غريب، م.س. 104.--- 33. نفسه. 34.--- 105.

35. Kit Pédagogique : Faire de l'histoire orale avec ses élèves, p.5. Site électronique :

Kit_pédagogique_HO_PDF-Adobe Reader

36. Kit Pédagogique : Faire de l'histoire orale avec ses élèves, Op.cit., p.5.

37. Ibid.--- 38. Kit Pédagogique : Faire de l'histoire orale avec ses élèves, Op.cit., p.11.

39. Ibid.--- 40. Ibid., p.10.--- 41. Kit Pédagogique : Faire de l'histoire orale avec ses élèves, Op.cit.,

p.9.--- 42. Ibid., p.p.9-11.--- 43. Ibid.--- 44. Ibid., p.11.

of mechanisms, such as broadening the concept of history, the development of the field sources, and engage in the framework of the humanities to write a comprehensive history that cares for the society / community and its dynamism and openness to others sciences to view the styles of contemporary writing and achievements of the social sciences, and beyond the narrow concept of the historical document that is that history is not written only where there's written documents.

And from the results of this opening, historians have given a great interest in the use of oral traditions saved and transmitted as a source of historical sources, especially after their conviction that "the history of the social context in which the researcher not seeking news of the mouth of men is necessarily inferior to any side", and a good understanding of the history of everyday life can not be done without the use of field research, the fact that oral culture enjoys great prestige and growing interest in historical sources.

Given the importance that has become the verbal text in this context, this article aims to answer the following questions:

- What is the concept of the oral heritage in general?
- What is the concept of oral history, its importance, and its characteristics?
- What is the concept of oral tradition, its importance, and its characteristics?
- What approach oral history, and what are the stages of research in the field of oral tradition?
- What are the constraints posed by the verbal text used in the writing of local history and some of the ways to overcome them?
- Recommendations.

45. عبد الكريم غريب، م.س، ص. 106. --- 46. نفسه، ص. 107.
47. K. à Pédagogique : Faire de l'histoire orale avec ses élèves, Op.cit., p.10.
48. فصيل ملائقي تاريخية إفريقيا واعتبر أن التاريخ ونسب فقط بالأمم والدول التي تتوفر على الكتابة (: Melchisedek, Chétina : Sources orales..., Op.cit., p.4.
49. عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، ج. 1، الألفاظ والمذاهب، المركز الثقافي العربي، 1992، ص. 108.
50. أحمد حسن عدنان، "منهج نقد الوثيقة الرسمية للدولة ومكانة التطبيق على الرواية في التاريخ الشفوي"، منشورات التاريخ الإسلامي، منتدى الأبحاث والدراسات التاريخية، الموقع الإلكتروني <http://www.islamichistory.net>
51. جرماني عياشي، أي منهاج لكتابة تاريخ المغرب؟، مجلة أمل، التاريخ، الثقافة، العدد 1، 1992، ص. 10.
52. Ki-Zerbo, Joseph : Histoire de l'Afrique noire d'hier à demain. Librairie A.Hatier, Paris, 1978, p.17.
- في هذا السياق، لابد من الإشارة إلى أن المقالات التي هي نقيضة من النقيضات التي يعتمد عليها منهج التاريخ الشفوي نابعة من تجارب معاشة من طرف أشخاص، وهي تخضع لتأثير الزمن الذي ول، والبيئة التي تم فيها جمع هذه الروايات، كما أنها تعود للواقع ذاتية للأشخاص الذين نظمهم لاسترجاع، وهذه الأسباب كلها فإني للعلومات الحاصل عليها من المقالات تكون بالتأكيد ذاتية إذا ما قورنت بمصادر أخرى (Mgr David Weber : la «Mémoire d'une nation» racontée..., Op.cit)
53. عبد الأحد السني، التاريخ والثقافة الشفهية، م.س، --- 54. أمين علمر، التاريخ الشفوي: تاريخ يغفله التاريخ، م.س، ص. 4.
55. نفسه، ص. 5.
56. Zakari, Dramani, Issifou : Op.cit., p.27. --- 57. Ki-Zerbo, Joseph : Op.cit., p.17.
58. محمد حبيدة، التاريخ الشفوي، كتابة التاريخ: قراءات و تأويلات، ط. 1، دار أبي رزق الطبعة و النشر، 2013، ص. 48.
59. إبراهيم القادري وتشيث، مواطن القوة والضعف في الشهادات الشفوية: دراسة تطبيقية في تاريخ المغرب 1973-2005، ضمن إعادة الاعتبار للتاريخ الشفوي في مؤتمر الفكر العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 23 فبراير 2014، بيروت، المؤتمر الأول حول: التاريخ الشفوي، المفهوم والمنهج وحقول البحث في المجال العربي.
- الموقع الإلكتروني: www.dohamstitute.org
60. أمينة علمر، التاريخ الشفوي: تاريخ يغفله التاريخ، ص. 8. وحمام وهاب، التاريخ الشفوي: تاريخ من لا تاريخ له، م.س.
- Mauny, R : «Tableau géographique de l'Ouest africain au Moyen Age», in 4 mémoire de l'I.F.A.N, n° 16, Dakar, p.56.
- والحسين عماري، الرواية الشفوية مصدر من مصادر كتابة تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ضمن منشورات معهد الدراسات الإفريقية بأرباط، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك، سلسلة فنوات (12) حول الآداب والثقافات في إفريقيا حصائص وقاسم، 2010، ص. 17.

Abstract: The use of the oral tradition in the writing of regional/local history Importance and limits of use.

In the context of the interest taken by our country to regionalization from multiple angles related to the political development of the national cause and the fact that regionalization has become a political choice as it represents the essential foundation for development economic and balanced social and cultural harmony, as a tool to overcome many of the problems at hand.

And since the regional history is an essential part of the memory of a nation, and because "a nation without memory without history", research into local history has become of great importance and of great interest to researchers at the university level, to the point that some have considered this approach as a "head locomotive update process of academic memory" for the renewal of desire based on a variety